السرديات الكبرى وإيدلوجية الشاعر والباحث الاجتماعي
(الوردي والشعر العربي الحديث انموذجاً)

م.د. سعدون خلف عزر
جامعة سومر/ المكتبة المركزية
emanali1996a@gmail.com

الملخص:

درس البحث ثمانية من مؤلفات الدكتور علي الوردي ، مبينا أحد أهم المصادر الثقافية التي استثمرها في قراءة الظاهرة الاجتماعية وتحليلها . كما لفت البحث إلى علاقة الوردي بالشعر من جانب ومن جانب آخر علاقة السرديات (الوقائع والاحداث) بالشاعر والباحث الاجتماعي على حد سواء، مما يعني اشتراكهما في مرجعية واحدة مسوغ للتعالقات النصية والاقتباسات.

وذكر البحث مؤشرات جلّية لحوادث ووقائع تناوله الشاعر والباحث الاجتماعي. ثم عضد الباحث الاجتماعي رؤيته عبر الاقتباسات الشعرية . وقد عارض الوردي في بعض الاحيان قصيدة أو بيت لما فيه من خرق للمعيار الاجتماعي.
الكلمات المفتاحية: (السرديات الكبرى، وإيدلوجية الشاعر، الشعر العربي).

Grand Narratives and the Ideology of the Poet and Social Researcher

(Al-Wardi and Modern Arabic Poetry as a Model)

Dr. Saadoun Khalaf Ezr

Sumer University/ Central Library

Abstract:

The study examines eight of Dr. Ali Al-Wardi's works, highlighting one of the most significant cultural sources he utilized in analyzing and interpreting social phenomena. The research also sheds light on Al-Wardi's relationship with poetry on one hand, and on the other, the connection between narratives (events and incidents) and both the poet and the social researcher, indicating their shared reference framework.

This shared framework justifies textual interrelations and quotations. The study presents clear indicators of events and incidents addressed by both the poet and the social researcher, with the latter reinforcing his perspective through poetic citations. At times, Al-Wardi opposed certain poems or verses when they conflicted with social norms.

Keywords: (grand narratives, poet's ideology, Arabic poetry).

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين و الصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

اما بعد

القارئ للشعر العربي يلمح بصورة جلّية الظواهر الاجتماعية و الاحداث و الوقائع على الأصعدة كافة فمرة يعبر الشاعر من خلالها وصفها سردية ، و مرة يذكرها بوصفها شاهد . و لعل الحوادث الكبرى مثل الحروب و المؤتمرات و البروتوكولات التي تؤثر على المجتمعات بصورة عامة بغض النظر عن سلبيتها و ايجابياتها ترد في نتاج الادباء كتابا و شعراء و في الوقت ذاته تلك الاحداث تشكل سرديات للباحث الاجتماعي ايضا و كما المحنا بتعامل الشاعر معها يتعامل الباحث الاجتماعي ايضا فمرة يوصفها و مرة يستثمرها كشاهد في تحليل ظاهرة اجتماعية ما .

و من هنا يلتحم الشاعر و الباحث الاجتماعي بأواصر سردية بناءً على ما يردانه كمنهل سردي و يأتي استشهاد الباحث الاجتماعي بالشعر في أحيان كثيرة باعتبار الشعر يحمل في مضانه ظواهر اجتماعية جاهزة هذا من جانب و من جانب اخر استراتيجية خطابية يعزز بها الباحث رؤاه ليأثر بالمتلقي و قد تجلى ذلك في سبعة من مؤلفات الدكتور علي الوردي متفاعلًا مع القصيدة العربية الحديثة مرة موافقًا لرؤاها و مرة معارضًا لها و في كل هذا و ذلك مؤشر واضح لايدلوجية الوردي الأدبية (الشعرية).

السرديات الكبرى و ايدلوجية الشاعر و الباحث الاجتماعي

يرى الدكتور يوسف عز الدين ان الشعراء و الفنانين غادر دور الامراء فالفن خرج من المجتمع و المجتمع مصورًا افراحه و احزانه[١] و لهذا وجد الوردي ضالته فيه فقد نراه مرة يستشهد بالشعر كظاهرة اجتماعية و مرة يستشهد بالحدث الذي ورد في اشعار شاعر ما.

فقد ربط بين حادثتين الاولى حين طلب العرب حقهم من الخاقان ابن الخاقان اتُهموا انهم دعاة زندقة و تفرنج ، و عندما انُعقد المؤتمر العربي في باريس عام ١٩١٣م قال العثمانيون بانه مؤتمر جواسيس[٢]، و قد جسد الشاعر معروف عبد الغني الرصافي هذه الحادثة و الرصافي ممن اتهم القوميين فالوردي يراها ظاهرة اجتماعية لا يلام عليها الشاعر[٣]

قال الرصافي :

إذ راح يستنجد الافرنج مستنصفا كانه حمل يستجد الذيبا

لو كان في غير بأريز تألبهم ما كنت احسبهم قومًا مناكيبا[٤]

الرصافي صورهم بالأغنام التي تستنجد بالذيب، ثم يرى لو ان هؤلاء اجتمعوا في غير باريس (باريز) لما لاموا على ذلك ، و هذه الابيات تبين حالة الصراع و الجدل السائد آنذاك ، و التي يجد

فيها الوردي بؤرة مناسبة لآليات بحثه فكثير من كتب السياسة و التأريخ تذكر هذا لكن الوردي ايدلوجية شعرية تنبثق من تراكمات الذاكرة وقت الحاجة (فالجنس الادبي مكونات لغوية و اجتماعية و ثقافية)[٥]

و هذه المكونات خاضعة بشكل كبير للمعايير الاجتماعية حيث ((من السهل على الشاعر ان يكذب في مدحه و ذمه ، انما يصعب عليه ان يكذب في ذكر القيم الاجتماعية التي يستند عليها معيارًا للمدح و الذم))[٦]

و القيمة الاجتماعية هي مناط بحث الوردي و مادته في آن واحد ، و من الجدير بالذكر فإن للواقع السياسي تأثير كبير على الظاهرة الاجتماعية سلباً او ايجابا لذا نراه يبحث الواقع السياسي عند بحثه للظواهر الاجتماعية ، لكل مجتمع نمط من السياسة كما لكل نمط من السياسة مجتمع ، و الشعراء جزء لا يتجزأ من المجتمع لذا نرى الوردي ينقل رأي البروفيسور نيكل سون حول الاسلام و الشعر كما ينقل رأي جرجري زيدان حول الاسلام و النثر[٧]، و هذا مُتأتي من اهتمامه الكبير بالأدب و نقده ، فهو يقرأ الشعر لغاية بحثيه.

و من الجدير بالذكر ان احمد شوقي من شعراء المدرسة الاجتماعية فقصائده ذات دلائل اجتماعية سياسية حتى و هو يرثي رسول الإنسانية و قد استشهد الوردي بابياته نحوه :

فرسمت بعدك للعباد حكومةً لا سوقة فيها و لا مراءُ

الله فوق الخلق فيها وحده و الناس تحت لوائها اكفاءُ

و الدين يسر و الخلافة بيعة و الامر شورى و الحقوق قضاء

الاشتراكيون انت امامهم لولا دعاء القوم و الغلواء[٨]

مهما قرأنا النص قراءة محايدة و كيفية الحكومة بعد رسول و الدين و الخلافة و البيعة و الشورى ثم القوم (و الغلواء) و تعني التشدد و الإفراط و مجاوزة الحد فهي مفردات ذات طابع اجتماعي تشكل نواة لظواهر اجتماعية عدّة، فالنص بحسب الدكتور صلاح فضل ممارسة سيمولوجية لا ادبية فحسب[٩].

فعلى الرغم من مرجعيات الوردي الشعرية لكنه لم يقع تحت سطوة القصيدة أو يفقد شخصيته فرؤيته الاجتماعية بارزة للعيان ، و قد يعلن التمرد على الشعراء بعض الأحيان ، لكن الغالب عليه يستشهد بشعرهم ثم يتناص معهم عبر آليات متباينة فقد عارض الوردي حافظ ابراهيم بقوله:

وقف الخلق ينظرون جميعا كيف ابني قواعد الظلم وحدي[١٠]

رد الوردي متناصا بقوله :

وقف الخلق ينظرون جميعا كيف ابني قواعد المجد وحدي[١١]

فالوردي تعامل مع الجانب الاجتماعي للحضارة الفرعونيّة كما انتقد احد مواطنيه و هو يهتف له انظر الى عظمة الاجداد و هو يطالع بقايا الحضارة العباسية فرد الوردي عليه انظر بالأحرى الى ظلم الاجداد فهو يرى التقدم المادي آنذاك رافقه تأخر اجتماعي [١٢]

الوردي بنقده للقصيدة هو ناقد اجتماعي؛ لأن معياره مدى تأثر المجتمع سلبا أو ايجابا ، و هو يتباين حتما مع الظاهرة السلبية و يتواءم مع الظاهرة الإيجابية في القصيدة يرى الدكتور صلاح رزق مهمة الناقد الاجتماعي تتمحور في فهم الواقع الاجتماعي و مدى استجابة الشاعر له و آلية الاستجابة [١٣]، اما الوردي ناقد على المستوى الموضوعي لا على المستوى الفني التي يشكل في ضوئها الشاعر نصه و الموضوعية هي الظاهرة الاجتماعية او الظاهرة المؤثرة فيها.

و قد انتقد الوردي القادرين على الشر من الامراء على خلاف ذوي النوايا الحسنة طالما هم مسالمون فلا داع لمزيد من الاحترام و التبجيل [١٤]

و قد استشهد مرة واحدة بثلاثة ابيات بيتين جاهليين اشرنا لهما في مبحث خاص و بيت لشاعر عراقي مغترب (خلدون جاويب) و الشاعر اقتبسه من السابقين و البيت هو

إذا لم تكن ذئبا على الارض اجردا كثير الاذى بالت عليك الثعالب [١٥]

فذاكرة الوردي ذات مزحةً شعرية فهو يستشهد بالأبيات التي تلائم تطلعه الاجتماعي فبحسب نظرية الاطر لمنسكي (ان المعرفة مختزنة بالذاكرة .... نستسقي منها عند الاحتياج لها لنتلاءم مع الأوضاع الجديدة التي تواجهنا)[١٦]

و من الجدير بالذكر فان الوردي يرى البيت اصبح من الامثال ، و الامثال تشي عما في المجتمع من قيم و معايير[١٧]، اتخذها أفراد المجتمع اساسا في تعاملهم مع الاخرين اذن هو على وعي تام بقراءة البيت قراءة على وفق المنهج الاجتماعي فلم يأتِ الاستشهاد بالشعر اعتباطا او صدفة او طرافة بل يدرك ما يتضمنه البيت او القصيدة من ظاهرة اجتماعية تتجلّى بصورة واضحة فاستثمرها في بحثه، فالنص بلحاظ تواصلي (ينقل معلومات و معارف و تجارب للمتلقي) [١٨]

فليس المهم قراءة المعلومات و المعارف و لكن المهم ترجمتها و استثمرها و بيان مسوغاتها و معناها ، و هذا ما دأب عليه الوردي في التعاطي مع اغلب الابيات الشعرية.

فقد تعامل مع النصوص الشعرية تعاملا حركيا لا صنميا و بما أن آيدلوجية جزء منها شعري يشكل مرجعا ثقافيا له فانه تفاعل مع الرؤية الاجتماعية للشعراء مقتبسا منها ما يعضّد نصه مرة ، و ينتقدهم اشد الانتقاد مرة اخرى و هذا يؤشر لنا جانبين الجانب الاول اطلاعه على رؤية الشعراء و الجانب الآخر تعامل مع النصوص حركيا نفيا او تبديلا و ان كانت نصوص غير شعرية

و من ذلك نقرأ تأسفه الشديد لرأي الرصافي ناعته بالشاعر الشعبي[١٩]على الرغم من اقتباساته الشعرية السالفة لاسيما و الرصافي شاعر اهتم بالقضايا الاجتماعية.

و في معرض حديث الوردي حول فيض الشعر يذكر حوارا بين الرصافي و رجل نعته من الرقعاء و قد طلب الرجل من الرصافي قصيدة عاجلة لكن الرصافي اعتذر و اصر على الاعتذار و حينما الح الرجل اثار غضب الرصافي[٢٠]

و قد يحضر الوردي المحافل الشعرية فالشعر ضمن اهتماماته و ينتقد شويعرا على حد تعبيره اذ تفاخر انه نضم القصيدة بدقائق معدودات و لو اتيح له الوقت لكانت القصيدة اروع[٢١]، مبررا نقده للشاعر أن الإبداع لا يخضع للزمن و الحساب فقد تولد القصيدة الخالدة خلال دقائق[٢٢]، و في كل ما ذكرنا مؤشر لقراءة الوردي الواعية للشعر و رؤية الشعراء و حضور محافلهم و هذا متأتي بالطبع من الرغبة و تذوقه للشعر لما فيه من مضان تعزز رؤيته مرة ، و تفتح باب الرؤى له مرة اخرى ، و من الجدير بالذكر فإننا نستشهد بمقاله على مدى تفاعله مع النصوص الشعرية بوصفها ايديولوجيات ثقافية له فقد يرى الوردي (ان العبقري يستند جذور ابداعه من عبقريات سابقة له و لكن يلاقح بينها و يعيد النظر فيها حتى ينتج منها شيئا جديدا يختلف عما أنتجه السابقون[٢٣]، فرؤيته هنا ناقده على المستوى التناصي لكنها تشي باستثماره لرؤى سابقة تعامل معها و أنتج جديدا او موازيا او معنى مقابلا، و لكل بيت او مقال لشاعر وظيفة جديدة لا سميا و التناص وظيفي يحل فيه التوليد محل الابداع.

و قد ذهب الوردي الى ابعد من ذلك اذ نقل عن محمد السماري في معرض اعتراضه و انتقاده للأحلام بوصفها معيارا يبنى عليها على نحو قول محمد السماري

اباحث انت عين الإله	فهل عنك تعزب من خافيه
و انت مرير رحى الكائنات	و ان شئت تشفع بالناصيه
و انت الذي أم الأنبياء	لديك إذا حشرت جاثيه
فمن بك قد تم إيمانه	يساق إلى جنة عاليه
و اما الذين تولوا سواك	يساقون دعّا الى الهاويه[٢٤]

و قد عارض الوردي تلك الرؤيا في الابيات اعلاه لكن عدها وثيقة اجتماعية بالوقت ذلك و هذا مجال بحثه ، فالمؤشر يؤكد ثمة مرجعية شعرية استثمرها الوردي ، من اجل خدمة المعنى المقابل و هذا نهج اغلب الباحثين لتبرير موقفهم عبر مسوغ ، كما نلحظ الشعراء في العصور الجاهلية يفترض عاذلة تنهيه عن الكرم ليبرر لها فلسفة الكرم عبر حوار قد يكون تشخيصي، و الوردي في معرض نقده لمعيارية الحلم على المستوى الاجتماعي و الديني ينقل النص الشعري من اجل نقده ، و تكريس خطابه صوب المعنى المقابل اذ يريد القول ليس صحيحا ان نعد الحلم برهاناً يعمل الفرد او المجتمع في ضوءه.

و قد يستشهد الوردي بقصيدة كاملة لضرورة الحدث ففي كتابه (قصة الاشراف و ابن سعود) ذم احمد شوقي احد الاشراف (عون) و حث السلطان على عزله[25] يرى الوردي ان الشعر مؤثرا في الساحة السياسية فضلا عن كونه وثيقة اجتماعية لذلك يأتي استثمار قصيدة شوقي ضمن بحث تأريخي لا اجتماعي و ان كان احدهما يؤثر في الآخر ، ضمن رؤيته الأيديولوجية.

و لعل ولادة القصيدة ضمن ابعاد اجتماعية و سياسية تمثل توجه و تطلع لرؤية مبدعها فإبداع الشاعر له مقومات ذاتية (داخلية) و موضوعية (خارجية) يشكلان الدوافع و الحوافز في الدراسة النفسية و السيكولوجية اذ ان (الإبداع مرتبط بمجموعة من العوامل الموضوعية و الذاتية معا)[٢٥]

و الموضوعي و الذاتي بلا شك هو من حيثيات و تقنيات بحث الوردي ، و من الجدير بالذكر فقد ذكر الوردي أنه اختار ابياتا نموذجية[٢٦] منها:

ضَجَّ الحِجازُ وَضَجَّ البَيتُ وَالحَرَمُ ... وَاِستَصرَخَت رَبَّها في مَكَّةَ الأُمَمُ

قَد مَسَّها في حِماكَ الضُرُّ فَاِقضِ لَها ... خَليفَةَ اللَهِ أَنتَ السَيِّدُ الحَكَمُ

لَكَ الرُبوعُ الَّتي ريعَ الحَجيجُ بِها ... أَلِلشَريفِ عَلَيها أَم لَكَ العَلَمُ

أُهينَ فيها ضُيوفُ اللَهِ وَاِضطُهِدوا ... إِن أَنتَ لَم تَنتَقِم فَاللَهُ مُنتَقِمُ

أَفي الضُحى وَعُيونُ الجُندِ ناظِرَةٌ ... تُسبى النِساءُ وَيُؤذى الأَهلُ وَالحَشَمُ

وَيُسفِكُ الدَمُ في أَرضٍ مُقَدَّسَةٍ ... وَتُستَباحُ بِها الأَعراضُ وَالحُرَمُ

يَدُ الشَريفِ عَلى أَيدي الوُلاةِ عَلَت ... وَنَعلُهُ دونَ رُكنِ البَيتِ تُستَلَمُ

نَيرونُ إِن قيسَ في بابِ الطُغاةِ بِهِ ... مبالَغٌ فيهِ وَالحَجّاجُ مُتَّهَمُ

أَدِّبهُ أَدِّب أَميرَ المُؤمِنينَ فَما ... في العَفوِ عَن فاسِقٍ فَضلٌ وَلا كَرَمُ

لا تَرجُ فيهِ وَقاراً لِلرَسولِ فَما ... بَينَ البُغاةِ وَبَينَ المُصطَفى رَحِمُ

اِبنُ الرَسولِ فَتىً فيهِ شَمائِلُه ... وَفيهِ نَخوَتُهُ وَالعَهدُ وَالشَمَمُ

ما كانَ طَهَ لِرَهطِ الفاسِقينَ أَباً ... آلَ النَبِيِّ بِأَعلامِ الهُدى خُتِموا

خَليفَةَ اللَهِ شَكوى المُسلِمينَ رَقَت ... لِسُدَّةِ اللَهِ هَل تَرقى لَكَ الكَلِمُ

الحَجُّ رُكنٌ مِنَ الإِسلامِ نُكبِرُه ... وَاليَومَ يوشِكُ هَذا الرُكنُ يَنهَدِم

مِنَ الشَريفِ وَمِن أَعوانِهِ فَعَلَت ... نُعمى الزِيادَةِ ما لا تَفعَلُ النِقَمُ

عَزَّ السَبيلُ إِلى طَهَ وَتُربَتِهِ فَمَن أَرادَ سَبيلاً فَالطَريقُ دَمُ

مُحَمَّدٌ رُوِّعتَ في القَبرِ أَعظَمُه وَباتَ مُستَأمَناً في قَومِهِ الصَنَمُ

موَخانَ عَونُ الرَفيقِ العَهدَ في بَلَدٍ مِنهُ العُهودُ أَتَت لِلناسِ وَالذِمَمُ[٢٧]

يأتي اختيار الوردي لأبيات من القصيدة دون غيرها ضمن رؤيته الاجتماعية سواء تلك التي تمتزج بالديني أم السياسي ، و هذا ما عبر عنه موضوع القصيدة ، فالقصيدة اذن تمثل رؤية اجتماعية سياسية وقتذاك اذ ان (الوقائع الاجتماعية ليست وقائع فردية ، بل هي وقائع ذات طبيعة عامة)[٢٨]

و ان كان الاقتباس؛ لأن حديث شوقي ضيف حول اللغة لكن اللغة واقعة اجتماعية و لذا تميز كل مجتمع بلهجة و بالتالي لكل مجتمع تطلعاته على المستوى الاجتماعي تتجلى من خلال القصيدة و على الرغم من كون القصيدة واقعة اجتماعية عامة ، لكنها لا تنفلت من فرادتها و خصوصيتها على المستوى الإبداعي للكاتب، و من هنا يتمايز الشعراء فيما بينهم عند الكتابة في الموضوع الواحد و من الجدير بالذكر فان الوردي بنقله نماذج من قصيدة احمد شوقي اتخذ طريقين فمرة عبر عنها و مرة عبر من خلالها فهي اذن وسيلة و غاية في آن واحد ، تلاحمت مع رؤيته الاجتماعية بشكل إنمائي، اذ تنمو رؤيته بصورة ملفتة للنظر، و تبدو أكثر نضجا و ما كان ذلك لولا ان الوردي يهضم الشعر حتى اصبح آيدلوجية يردده في بحوثه بصورة مستمرة، حتى في سرده للأحداث التاريخية حين وفاة الشريف الحسين يذكر الوردي الشعراء الذين احيوا حفلين لتأبين الملك الشريف و عدّد اسمائهم[٢٩]

و قد ذكر الوردي قصيدتين للرصافي الاولى في رثاء الشريف و الثانية التي سبقتها زمنيا بهجاء الشريف ثم دعا الوردي القارئ ان يقارن بينهما ، دون اي تعقيب من الوردي سوى ان قال قصيدة الرثاء ملفتة؛ لأنها تناقض الاولى في هجائه [٣٠]فقصيدة الرثاء عام ١٩٣٠م و هي :

بدا وجه العروبة في حلوك غداة قضى الحسين أبو الملوك

قضى متنازلاً بعد اعتلاء كذاك الشمس تجنح للدّلوك

قضى في المجد ليس بذي نظير وفي العزمات ليس بذي شريك

مليك واصل الأقدام حتى أتاه بهلكه يوم الهلوك

لقد سلك الطريق إلى المعالي إلى أن مات محمود السلوك

وجدّد للعروبة غرس مجد قديم كان كالعذق التريك

وأحدث نهضةً في العرب هزّت جنوب الأرض كالريح السهوك

وأثبت بالسيوف لهم حقوقاً مؤيّدةً بكل دم سيفك

ولكن غشّه الحلفاء حتّى

أتوه من الثعالب في مسوك وخانوا لم يفوا بعد انتصار

بما كتبوه في بطن الصكوك خطبنا ودّهم فتقبّلونا

بعاطفة كعاطفة الفروك

وكم وعدوا بني قحطان وعداً به انقلب اليقين إلى شكوك

لقد ستروا شينع الغدر منهم بثوب من سياستهم محوك

فساستهم إذا وقعوا بضنك أرَونا الودّ في وجه ضحوك

وأبدوا في الرخاء لنا عبوساً وهذا عدّ من شيم الهَلوك

ونحن العربَ نأبى غير عزٍ وتطمح في الحياة إلى السموك

ويوم الرَوع ننتظم المنايا ولم تكن السيوف سوى سلوك

ونمضع في اليهاج الموت دون ال علا مضغ الأوانس للعلوك

وما عاب الفتى جسمٌ هزيل إذا ما كان ذا شرفٍ وديك

وما الشرف الحميد سوى فَعال حميدٍ من معادننا سبيك

قرينّ القبلتين عليك نبكي وما بالدمع من طرف مسيك

فقدنا منك خير زعيم قوم وخير نضيج تجربة حنيك

لقد ناح العراق عليك حزناً وضجّ من الخليج إلى دهوك

وناح المسجد الأقصى جميعاً إلى أرض الشآم إلى تبوك

لقد نُزَهت من غمز ولمز كما نزّهت من شعر ركيك[٣١]

يبدو ان حكم الشريف عند بدايته تباين مع نهايته اذ نضجت تجربته بالحكم كما صرح الرصافي (و خير نضيج تجربة) و لذا فالرصافي في مطلع مرثية نعى العروبة مبينا ان الشريف انفرد بالمجد عمن سواه و هو يسلك طريق المعالي كما جدد مجد العروبة و احداث نهضة في العرب ، ثم اضفى على المرثي بعد تطلعه العروبي مزحة دينية فهو قرين القبلتين ، و ناحه المسجد الأقصى كما بكاه العراق و الخليج و الشام ، فالمعيار الرثائي في قصيدة الرصافي هو معيار اجتماعي و ما عُرف عن

العربي من الاعتزاز بعروبته و قدسية ارضه ، و التطلع للنهضة كان بصورة جلية بعد الحرب العالمية الاولى ، ثم نزه مرثية عن عادة اجتماعية سيئة (لقد نُزهت من غمز و لمز) و اكد على سلوك طريق المعالي بالسيف ، و كل هذه المفردات اجتماعية و هي مضمار بحث الوردي فمثل هذه القصائد تمنح الوردي شحنة مكثفة من الظواهر الاجتماعية و تبدو القصيدة هنا جزء محوري في بحثه اما قصيدة الهجاء فهي سبقت هذه القصيدة بأربعة عشر عاما اي عام ١٩١٦م و هي :

قد كنت أحسَب أن اللؤم أجمعه ... على الحسينَيْن في مصر قد انقسما

حتى بدت مُخزيات اللؤم مشركةً ... من الحِجاز حسيناً ثالثاً بهما

لكنما ذاك قد أربَت جريمته ... عليهما فهو أخزى جارم جرما

فذان قد أخجل الأهرامَ بَغيُهما ... وبغي هذاك أبكى البيت والحرما

مَن مُبلغُنّ بني الإسلام مأْلُكةً ... تبكي لها عين خير المرسلين دما

بأن مكة قد أمست معطَّلةً ... فلا حجيج ولا للركن مستلما

هذا الذي منه تنشق السماء أسىً ... والأرض ترتجّ حتى تقذف الحُمَما

فأنتِ يا قدرة الله التي عظُمت ... خذي حسيناً بذنب منه قد عظُما

وأنت يا أرض مُجّي نحوه ضَرَما ... ويا سماء عليه أمطري نِقَما

بغَى ففرّق شملاً كان مجتمعاً ... للمسلمين وشعباً كان مُلتئما

قالوا الشريف ولو صحّت شرافته ... لم يَنقُض العهد أو لم يخفرِ الذمما

وكيف وهو الذي بانت خيانته ... فصرحت عن طباع تخجل الكرما

لم تكفه في مجال البَغي فتنته ... حتى غداء بعدوّ الله معتَصِما

إذ راح بالإنكليز اليوم ممتنعاً ... فضاعف الشرّ فيما جرّ واجترما[٣٢]

لم يعلق الوردي على القصيدة، و ان كانت على نقيض قصيدته بالرثاء، فالقصيدة هجاء لم تخرج عن المنظومة الاجتماعية التي تُعد الاساس و المعيار قدحا او مدحا فالمفردات الاجتماعية السلبية اللؤم و الجرم و تفريق صف المسلمين و الخيانة و نقض العهد و أن عد نص الرصافي وثيقة تاريخية فهو بالوقت ذاته وثيقة اجتماعية لم يترك الوردي ظاهرة اجتماعية من الظواهر المذكورة لم يبحثها في مؤلفاته الأخرى و مما يلفت النظر فان الوردي قبل نقل القصيدتين كتب عنوان بحثه (الشعراء

يهيمون)[٣٣] لم يقدم له بشيء لكنه يتضمن اقتباس جزئي من القرآن الكريم من قوله تعالى: ((و الشعراء يتبعهم الغاوون ،الم ترى انهم في كل واد يهيمون))[٣٤]

فالعنوان (عتبة النص) يقوم بوظيفة تناصية مركزة و إيحاء لذم الرصافي

كما ان العنوان يشكل عتبة نصية مناسبة للمدخل فقد اكتفى الوردي بالعنوان بدون تعليق على الرصافي و التلميح ابلغ من التصريح فالعنوان مفتاح و مدخل ضمن الدراسات السيميائية يرى الباحث طه حسين الحضرمي ان العتبات النصية تسهم في توجيه المتلقي؛ لأنها فاتحة النصوص التي تذلل سبلها[٣٥]، بل تُعد دلالة سابقة للمتن إذ يتهيأ للقارئ مدلول النص القرآني الكريم و توظيفه بوصفها عتبة نصية عند الوردي تضمر إشارة للتناقض بين قصيدتي الرصافي

و مما لا شك فيه فالوردي بالنسبة للشعر الحديث هيمن على اسشهاده شعر الرصافي فقد فاق عما سواه ففي معرض نقده لحالة بغداد في ظل الغناء و الرقص استشهد بقول الرصافي:

ارى بغداد تسبح في الملاهي و تعبث في الاوامر و النواهي [٣٦]

كما اشار الوردي لحادثة وقعت في بغداد مشيرا الى ان الرصافي خلدها في قصيدة بعنوان (اليتيم المخدوع)[٣٧] لكنه لم يستشهد بأبياتها مكتفيا بذكر عنوانها ليحيل المتلقي اليها وقد همشها الوردي ليبين للمتلقي حيثيات القصيدة و قصتها و القصيدة من الشعر الاجتماعي تجسد حالة لتاجر استدرج شابا ليعمل معه المنكر و بعد ممارسة الشاب اطلق عليه الرصاص فمات مضرجا بدمائه و بهذا يكون الوردي موائما لرؤية الشاعر في نبذ ظاهرة اجتماعية شاذة قد تحدث عنها الشاعر قبل حديث و رؤية الباحث الاجتماعي و من ابيات القصيدة :

قضى والليلُ مُعتكرٌ بهيمُ ولا أهل لديه ولا حميم

قضى في غير موطنه قتيلًا تمجُّ دمَ الحياة به الكلوم

قضى من غير باكيةٍ وباكٍ ومن يبكي إذا قتل اليتيم؟

قضى غَضَّ الشبيبة وهو عفٌّ مُطهَّرة مآزره كريم

سقاه من الردى كأسًا دهاقًا عَفافُ النفس والعِرضُ السليم

تجرَّعها على طرَبٍ ولكن بكفِّ اليتم ليس له نديم

على حينَ الربابة في نواح يساجلها به العود الرخيم

بحيث رقائق الألحان كانت بها الأشجان طافية تعوم

كأن ترنُّم الأوتار نعْيٌ وصمت السامعين لها وجوم

فجاء الموتُ ملتفعًا بخزْيٍ ... وملءُ إهابه سَفَهٌ ولومُ

فأطلق من مسدَّسه رصاصًا ... به في الرَّمْي تنخرق الجسوم

فخرَّ إلى الجبين به «نعيمٌ» ... كما انقضَّت من الشُّهْب الرجوم

فبانَ مودِّعًا بعد ارتثاثٍ ... حياةً لا تُناط بها الوصوم

لئن لم تبكِ من أسف عليه ... سفاهتنا فقد بكت الحُلوم

ولو دَرَتِ النجوم له مصابًا ... بكتْه على ترفعها النجوم

عسى الشهباءُ تثأره فتُبدي ... إلى الزوراءِ ما يبدي الخصيم

ولم يقتله «إبراهيم» فيما ... أرى بل إن قاتله «سَليم»

أليس «سليمٌ» الملعون أغوى ... «نعيمًا» فهو شيطان رجيم

وأخرجه من الشهباء ... غِرًّا يتيمًا ما له أبدًا زعيم

وجاء به إلى بغداد حتى ... تخرَّمه بها قتل أليم

سأبكيه ولم أعبأ بلاحٍ ... وأندبُه وإن سَخط العُمومُ

ولمَّا أن ثوى ناديت أرِّخْ ... ثوَى قتلًا بلا مَهلٍ «نعيمُ»[٣٨]

نتائج البحث

بعد مطاف مضن خرج البحث بالنتائج التالية :

أولاً: شكل الشعر ايدلوجية ثقافية للوردي لاسيما الشعر ذو الطابع الاجتماعي والسياسي والشعر الناقد .

ثانياً: هيمنت على اقتباسات الوردي من الشعر الحديث قصائد الرصافي ثم أحمد شوقي لاهتمامهما بالشعر الاجتماعي على الرغم من تباين الوردي مع الرصافي وتعريضه بذمه .

ثالثاً: اقتباس الوردي للبيت الشعري أو القصيدة بصورة واعية فهو مدرك لما اقتبسه لا اعتباطا أو صدفة .

رابعاً: شكلت الظاهرة الاجتماعية سردية كبرى يستقي منها الشاعر والباحث الاجتماعي على حد سواء ، ويأتي تعالقه مع القصيدة ضمن رؤية متطابقة في اغلب الاحيان .

خامساً: للوردي رؤية ناقدة للشعر فضلاً عن الاقتباسات الشعرية وهذا دليل رسوخ التجربة الشعرية عنده ولعل خير دليل تأليف كتاب بهذا الصدد (اسطورة الادب الرفيع) .

سادساً : تأتي اقتباسات وتعالقات الوردي للاتساع بالدلالة وتعميقها وتعضيد رؤاه .

سابعاً : ركز الوردي على نواة مهمة في استقراء قصيدتي المدح والذم مبيناً أنهما خاضعتان لمعايير اجتماعية بغض النظر عن صدقيهما أو كذبيهما فالمعايير الاجتماعية اساسا للمدح والذم وهذا مسوغ منطقي أن اصبح الشعر مورداً يرده بين الحين والآخر .

الهوامش:

١ - ينظر : التجديد في الشعر العربي الحديث) بواعثه النفسية وجذوره الفكرية (، الدكتور يوسف عز الدين ، جدة النادي العربي الثقافي ، ط١ ، لسنة ٦.١٤ للهجرة : ٢١١

٢ - ينظر وعاظ السلاطين، علي الوردي، الفرات للتوزيع والنشر، بيروت - لبنان، د. ط،١٩٥٤ :١٤١ - ١٤٢

٣ - ينظر : م ، ن : ١٤٢.

٤ - ديوان الرصافي ج١ :٣٩٦

٥ - التناص ذاكرة الادب ، تيفين ساميول ، ترجمة غزوان نجيب ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا لسنة ٢٠٠٧ : ١٠

٦ - علي الوردي نقد كتاب في الشعر الجاهلي لطه حسين ، إعداد وتقديم ، د.صباح جمال الدين ، مكتبة الفكر الجديد ، الوراق للنشر د .ط ، د.ت :٢٧

٧ - ينظر :وعاظ السلاطين :١٩٤ -١٩٥

٨ - الشوقيات : ٩٨.

٩ - ينظر :بلاغة الخطاب وعلم النص ، صلاح فضل ، دار الكتاب الشعري القاهرة ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، ط٢ ، لسنة ٢٠٠٤ :٢٦٩

١٠ -وعاظ السلاطين :٣٢٥

١١ - ديوان حافظ أبراهيم (شاعر النيل)، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٨٤م.

١٢ - ينظر :وعاظ السلاطين :٣٢٥ -٣٢٦

١٣ - ينظر :أدبية النص ، الدكتور صلاح رزق ، القاهرة ، دار الثقافة العربية ، ط١ ، لسنة ١٩٨٩ م :١٥٢

١٤ - ينظر :وعاظ السلاطين :٧٧

١٥ - كتابة على صليب وطن، (مجموعة شعرية)، شعر خلدون اجاويد، د. ط، ١٩٨٧م: ٨٧.

١٦ - تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص ، الدكتور محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط٢ لسنة ١٩٨٦ م :١٢٣

١٧ - ينظر وعاظ السلاطين :٧٧

١٨ - تحليل الخطاب الشعري ، الدكتور محمد مفتاح :١٢٠

١٩ - ينظر :مهزلة العقل البشري :٢٣٤

٢٠ - ينظر :الاحلام بين العلم والعقيدة :٢٤٢

٢١ - . ينظر : م ، ن : ٢٤٣

٢٢ - ينظر: م ، ن : ٢٤٣

٢٣ - الاحلام بين العلم والعقيدة :٢٤٥

٢٤ - ينظر الاحلام بين العلم والعقيد : ١٤ ، وينظر ظرافة الاحلام ، محمد السماوي : ١٥ - ١٦

٢٥ - ينظر :قصة الاشراف وآبن سعود :٥٣ -٥٤

٢٦ - فلسفة الالتزام في النقد الادبي بين النظرية والتطبيق ، الدكتوره رجاء عبد ، الاسكندرية ، المعارف ،)د .ط (لسنة ٢٠٠٠ :٨٧

٢٧ - ينظر :قصة الاشراف وآبن سعود :٥٤

٢٨ - الشوقيات ، أحمد شوقي ، لبنان بيروت ، ج١ :٢١١ -٢١٣

٢٩ - النحو العربي والدرس الحديث ، الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر، د.ط ، د .ت :٢٦

٣٠ - ينظر :قصة الاشراف وآبن سعود :٣٠٠

٣١ - ديوان الرصافي ، مصطفى علي ، بغداد ، ج١ :٢٢١ -٢٢٤

٣٢ - ديوان الرصافي ، مصطفى علي ، بغداد ، ج٣ ، :٦٠ -٦٢

٣٣ - ينظر :قصة الاشراف وآبن سعود :٣٠٠

٣٤ - سورة الشعراء : ٢٢٤ و ٢٢٥ .

٣٥ - ينظر: المنظور الروائي في روايات علي أحمد باكثير ، طه حسين الحضرمي ،رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة حضر موت ، لسنة ٢٠٠٥ :٢٩

٣٦ - ديوان الرصافي ، ينظر في طبيعة المجتمع العراقي :٣٣١

٣٧ - ينظر في طبيعة المجتمع العراقي :٣٣٠

٣٨ - ديوان الرصافي ، ٩٨.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. الاحلام بين العلم والعقيدة، الدكتور علي الوردي، الدار البيضاء، بيروت- لبنان، ٢٠٢١م.

٢. أدبية النص ، الدكتور صلاح رزق ، القاهرة ، دار الثقافة العربية ، ط١ ، لسنة ١٩٨٩ م.

٣. بلاغة الخطاب وعلم النص ، صلاح فضل ، دار الكتاب الشعري القاهرة ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، ط٢ ، لسنة ٢٠٠٤م.

٤. التجديد في الشعر العربي الحديث بواعثه النفسية وجذوره الفكرية ، الدكتور يوسف عز الدين ، جدة النادي العربي الثقافي ، ط١ ، لسنة ٦.١٤ للهجرة.

٥. تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص ، الدكتور محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط٢ لسنة ١٩٨٦ م :١٢٣

٦. تحليل الخطاب الشعري ، الدكتور محمد مفتاح، د. ت، د. ط.

٧. التناص ذاكرة الادب، تيفين ساميول ، ترجمة غزوان نجيب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ٢٠٠٧م.

٨. ديوان الرصافي ، مصطفى علي ، بغداد، د. ط، د. ت.

٩. ديوان حافظ أبراهيم (شاعر النيل)، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٨٤م.

١٠. الشوقيات ، أحمد شوقي ، لبنان –بيروت، د. ط، د. ت.

١١. ظرافة الاحلام ، محمد السماوي ، د، ط، د. ت.

١٢. علي الوردي نقد كتاب في الشعر الجاهلي لطه حسين ، إعداد وتقديم ، د.صباح جمال الدين ، مكتبة الفكر الجديد ، الوراق للنشر ، د .ط ، د.ت .

١٣. فلسفة الالتزام في النقد الادبي بين النظرية والتطبيق ، الدكتوره رجاء عبد ، الاسكندرية ، المعارف ، د .ط ، ٢٠٠٠م.

١٤. قصة الاشراف وآبن سعود ، الدكتور علي الوردي، دار الوراق للنشر، بيروت، ط٣، ٢٠١٣م.

١٥. كتابة على صليب وطن، (مجموعة شعرية)، شعر خلدون اجاويد، د. ط، ١٩٨٧م.

١٦. مهزلة العقل البشري، علي الوردي، د. ط، د. ت.

١٧. النحو العربي والدرس الحديث ، الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر، د.ط ، د .ت.

١٨. وعاظ السلاطين، علي الوردي، الفرات للتوزيع والنشر، بيروت - لبنان، د. ط،١٩٥٤م.

الرسائل والاطاريح

١٩. المنظور الروائي في روايات علي أحمد باكثير ، طه حسين الحضرمي ،رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة حضر موت ، ٢٠٠٥م.